حزيران رقم ١، ٢، ٣ ... الى آخره

قصة بقلم نيروز مالك

ازاح الستار عن النافذة ، واراح راسه على الوسادة . ثم اشعل «سيكارة» وعب منها نفسا عميقا . ثم نفخ دخانها من انفه دفعة واحدة.

كانت العتمة التي تصبغ زجاج النافذة يتبعثر عليها ضوء المصباح الكهربائي الخافت . فيعكس عليه نصف جسمه الاعلى مصبوغا بالقتامة والسواد ، ومشوها بشكل مريع . كان وجهه عريضا ومتداخلا ، وكتفاه تبدوان نحيلتين رفيعتين ، وشعر صدره اشبه بجلد ماعز اسود .

التفت الى زوجه النائمة . كان شعرها الفحمي مبعثرا بفوضى على كتفيها العاريتين المدورتين المغريتين ، وخصلة سميكة منه تغطي ساعدها البض الملقى فوق الوسادة الوردية بوداعة .

سحب نفسا اخيرا من « السيكارة » ثم سحق عقبها في المنفضة. وحدق في ابطها الحليق الناعم . ثم زحفت نظراته بهدوء الى نهاية استدارة نهدها القابع بدعة تحت « الشرشف » المكور على نفور حلمته .

تولدت في نفسه رغبات شبقية غامضة فانزلق ببطء على الفراش. واخفى وجهه في راحة يدها المنبسطة ، وقبّل اطراف اصابعها . ثم زحف بشفتيه النهمتين على الساعد الابيض المستسلم باسترخاء . تاركا آثار قبلات محرقة عليه .

استعاد في نفسه اطراءات اصدقائه بجمال زوجه . فاستسلم لشعور الارتياح والحسد . وهو يضغط بفمه على ساعدها اللدن مستمرا في زحفه نحو الابط الحليق الناعم . ليغزو بعده النهد ، ويروّض تمرد حلمته النافرة .

وصل الابط . بعد ان قطع سنتين شبقية في الطريق اليه . فاخفى وجهه فيه ، ورائحة العرق الحادة تنفذ الى رأسه والساعداللدن الذي التهبت فيه الرغبة يلتف بحنان حول رقبته .

شد على اغماضة عينيه ، واستنشق بانفاس مبهورة متقطعة وهو يغوص في درب الحب المجنون . كان يطاردها ليل نهار في مدن لا يعرف زجاج نوافذها غير الاصباغ الزرقاء القاتمة .

صادفها مرة في وسط الشارع . في ظهيرة يوم حزيراني قائظ ، والعرق يرشح من جبينه ، وينزلق الى فمه مالح المذاق ـ يومها خففت من سيرها . وهو يمسح جسدها بنظرات فاترة ملتهبة فحدق في ثوبها الذي يكشف عن اجمل صدر ناهد ، وعن ابدع ساقين ، وعن ادق استدارة للكتفين ، وعن ابطين يرشحان بعرق مسكر . فوقف في وجهها . قال وهو يخفي رغبته المتمردة :

ـ « احبك .. اريد الزواج منك » .

كانت شفتاه اليابستان . قد وصلتا الى استدارة النهد المقتول بالرغبة والنفور والتمرد ، ويداه تتلمسان اماكن الامان ، وتبحثان عن شاطيء يضع فيه قدمه . شاطيء وعر . فيه خنادق طبيعية ليختفيا فيه ، ويغتسلا بماء الشبق .

* * *

كان النهد يتمرد ، والحملة السمراء تريد الانعتاق عن الجسد اللدن الذي انقلب الى قارب وحشي يتلوى تحت وهج الشمس على شاطيء رملي . وهو يحتج على العجز الذي ينمو في شوارع المدن التي لا تكف عن صبغ زجاج نوافذها بالالوان الزرقاء ليلا ونهارا .

كانت انفاسه المبهورة تتقطع ، واسنانه تنغرز في كتفيها المدورتين وفي نهديها اللذين يتمزقان . وفي صدرها الذي يعلو ويهبط بجنون . وفي بطنها الذي يخفي في داخله دوامة الجنس المحجوزة في زجاجة ملقاة في بحر هائج لا يعرف السكون والهدوء، وفي فخذيها المتمردين اللذين لا يعرفان الترويض .

كانت اصابعه . قد هتكت اسرار جسدها ، ولسانه يبس ، وتشقق تحت وهج الحلمتين السمراوين . وهو يريد اخضاعها لارادته التي شلت في مدن العجز ، وفي نوافذ المدن التي تجدد اصباغها الزرقاء عاما بعد عام . وشموس حزيران في رحلة الذهاب والاياب تحفر رقما بعد رقم في وجوه الرجال والارض والتاريخ .

كان يريد ان يركن على جسدها المتمرد ليسكت تلك التأوهات الصادرة من الاعماق المزروعة بالجنس . كان يريد الخروج من خنادق الهروب والعجز والجنون . كان يريد اسقاط تلك القطع الصغيرة الغريبة من « الالنيوم » التي تعبر السماء العارية السوداء من فوقه منقضة عليه . تلقي النار والحديد والرصاص . فتذيب اللحم والعظم والحجر . كانت تلوحه . تعمي عينيه . تشل ساقيه عن متابعة الركض والاختفاء والايدي الفاسية تبحث في داخله ، وتتشبث في ظهره العاري ، وتشده للولوج في خنادق الرغبة والشبق والجنون.

* * *

بدا جسد زوجه البض رحلة الانفلات ، والانعتاق بين يديه. بعد ان راح بحر الجنس يفور من الداخل ، وموجات الشبق تتعالى ثم تهبط بين النهدين ، والفم الناشف المفتوح ، والابطين الحليقين الناعمين ، والبطن الصعب الوصف ، والعانة الناعمة السمراء المغرية ، والفخذين المتشنجين .

واختلط التأوه ، والتنفس الملتهب المتقطع بصرير وانين السرير . فولد التمرد والعذاب من رحم العجز القاتل ، والايدي المعروقة المشنجة تصطاد الخيالات ، والاشباح من برك الدم، والخنادق

المحفورة في الارض والتراب ، واللحم المحروق . وقطع «الالمنيوم» الصغيرة تنقض على الخنادق . فتشيع الهروب في الاجساد المتساقطة على اطراف الاسرة والدم المخثر ، والانين الخافت المتقطع ، وقطعات الحديد الذي يفصل الاطراف ، ويبقر البطون ، وروائح الادوية الطبية الحادة المنتشرة في غرف واروقة المستشفيات تزكم الانوف ، وتتسرب الى القلب الذي لا يكف عن الخفقان ، ووجوه الاصدقاء المسحوقة المجبولة بتلك الايام البعيدة الماضية . التي تركتوراءها آثارا لم تمح بعد في التراب والارض والتاريخ .

كان الموت المعاد لا يحضر ، ولا يذهب . وهو يحوم حول الاسرة. يذكي اليأس في النفوس ، والايدي الشجية الطويلة تمتد الى البطون، والاطراف ، تعمل بين الفخذين بيأس ، والوجوه المخمورة بقطع القماش البيضاء . تبرق عيونها بالعذاب ، والحسرة ،والافواه المكتومة تنطق من خلف سنين بعيدة باصوات معذبة :

ـ « علينا بالعملية . لقد فشلت الوسائل الاخرى » .

تلاقت العيون ، والايدي حول الاختيار صامتة باسم الطب والحياة .

كان العرق المسفوح ، والجنس اليقظ ، والجسد المتشنج ، والنهدان المتمزقين قد وصلت الى نقطة اللاعودة . ففي لحظة العجز اليائسه المره ، هربت الايدي عن رقبته ، وانسحب الفخذان اللدنان من بين فخذيه ، وانفلت الجسد العاري من بين يديه متفجرا بالظما والقهر والعذاب . فسقط على الفراش مهدود القوى ، يائس الاعماق، ليعيش مأساة موته .

* * *

كان الصخب يصم اذنيه ، والجنس يعذبه ، والعجز يقتله ، وحزبران يسوح في شوارع المدن يصبغ زجاج بيوتها باللون الازرق القاتم ، ويداعب الافخاذ العارية ، ويتسلل ضاحكا الى الصدور ليداعب النهود المقتولة بالرغبة ، ويختفي تحت الاباط الحليقة الناعمة ، ويمر على الخنادق المحفورة في اللحم والارض والتاريخ .

عصر رأسه بين يديه . يريد اسكات الصخب ، والضجيج. ثم رفع وجهه المحقون بالزراق على اثر حركة وصوت . فاصطدم نظره بظهر زوجه العارية التي اختفت في داخل المطبخ لتخرج منه ثانية ، وتخطو بتحد نحو السرير الثاني . كانت نظراته العطشى لا تستقر في مكان . تتنقل من وجهها الغاضب القتيل ، الى نهديها المتمردين المقتولين ، ومن بطنها البض المنسحب الى الداخل يمارس الانتحار الى عانتها الحليقة الناعمة السمراء المنكورة على نفسها تطلب حزيران ليفرز السكين في وسطها ، ويريحها من عذاب الجنس القتيل .

جلست زوجه على طرف السرير الثاني . وهي تخفي شيئا ما وراء ظهرها . شعر بفصة قاتلة ، وسؤال عنكبوتي اسود :

ـ « ماذا تخفي وراء ظهرها ؟ » .

تدفقت سيول من الخيالات نحوه . بينما هي تضع يديها في حضنها ممسكة بشيء لم يعرف ماهيته . انما كان نوعا من انواع الخضار الرفيعة الطويلة التي تشبه في شكلها عضو الذكورة لدى الرجال . وللحظات حدقت في وجهه بتحد . حيث العالم انهار حوله، واصبح ركاما . وهو يسأل نفسه ذاهلا :

ـ « ماذا . هل ستمارس الجنس بهذا امام انظاري ؟! ».

هرب من نفسه ، وتاه في الضياع سنين طويلة . ثم عاد الى الحضور على اثر صرخة صدرت عن زوجه . وهي تبكي ، وتخفي وجهها بين يديها خجلة من نظراته اليائسة . بعد ان تخلصت من ذلك الشيء الذي يشبه عضو الذكورة لدى الرجال . والصمت والعذاب والجنس والعجز يمر امام عينيه دون توقف . وزوجه تنشج وتبكي وتشكو بصوت متقطع :

ـ قل ماذا تريد مني ان افعل ؟ لماذا تعذبني ؟ انني انسانة.. انسانة من لحم ودم . الى اين تدفعني ؟ ! الى الانتحار ؟ ام الى احضان عشيق ؟!

غاب عن وعيه . وهو يصرخ :

ـ كفى ...!

انهار على السرير يبكي . وزوجه تتابع كلامها بتوتر :

ـ ... لماذا لا تريد الاعتراف بعجزك ؟ انت عاجز .. عاجز .

قرز وجهه في الوسادة اكثر ، وضغط على اذنيه ، واعتراف ساخن لزج يتسرب عنوة الى اعماقه ، ويستحل نفسه المقتولة على اطراف الخنادق ، والممزقة على اسرة المستشفيات ، والمعلقة على صليب حزيران .

« اعترف بعجزك .. انت عاجز .. عاجز .. عاجز ..» .

ـ لا ..

قفز عن السرير ، وجلس على طرفه . حيث كان الصمت شاملا. يتخلله بكاء الزوج المر ، وصرخته تتردد في مساحات واسعة . ثم تعود لتحوم حول جسد زوجه العارية . ثم تتسرب ببطء ، وتستقر في الخارج . حيث الصباح . كان قد قطع شوطا طويلا في رحلة النهار . وهو يعكس على زجاج نوافذ الغرفة اضواء وانوارا غنية .

حلب — نبروز مالك

يصدر قريبا :

موضوعات في

الجبهة الوطنية التقدمية

تأليف الاستاذ عزيز السيد جاسم

١) ـ بعد بروز ظاهرة « الرجعية الجديدة ما هي أسس العمل الثوري العربي المعاصر ؟ في هذا الكتاب اجابة علمية على هذا التساؤل الهام .

٢) ـ لماذا تتاكد اهمية الجبهة الوطنية التقدمية بعد هزيمة حزيران ؟ هذا الكتاب اجابة على ذلك السؤال الجوهري .

٣) ـ والكتاب المذكور ، محاولة جادة لتقديم تحليل نظري ثوري لاهمية الجبهة الوطنية التقدمية في عموم الوطن العربي .

منشورات مكتبة النهضة ـ بغداد

التوزيع للعالم العربي ـ دار الطليعة ـ بيروت